

## بوانكاريه وبارتو

للأستاذ محمد عبد الله عنان

فقدت فرنسا في أسبوع واحد رجلين من أعظم رجالها ،  
وسياسيين من أقدر سياستها وكاتبين من أكبر كتابها ، هامسيو  
لوى بارتو وزير خارجيتها ، ومسيو زايغون بوانكاريه رئيس  
جمهوريةها الأسبق ؛ فذهب مسيو بارتو ضحية بريشة في حادث  
مرسيليا الروع الذي اغتيل فيه الملك اسكندر ملك بوجوسلافيا ،  
وتبعه مسيو بوانكاريه الى القبر بعد أيام فلائق : وكان السياسي  
العظيم مريضاً منذ حين ، يستشفى في الرقييرا ، ولكنه عاد الى  
باريس منذ أشهر ممتكاً بالصحة والنشاط ، ثم توفى فجأة ، بينما كان  
يتابع الكتابة في مذكراته ؛ فذهب بموته ركن من أعظم أركان  
السياسة الفرنسية المعاصرة . ولايشغل بوانكاريه وبارتو مكانتهما  
المتأزة في عالم السياسة فقط ، ولكنهما يشغلان مكانتهما المتأزة  
في عالم البيان والأدب أيضاً ، ولكل منهما آثار أدبية تتبوأ المقام  
الأول بين تراث الأدب الفرنسى المعاصر

كان زايغون بوانكاريه فرنسياً عظيماً من غلاة الوطنية  
الفرنسية التي تذهب الى حد التمسب ؛ وكان يمثل مدرسة  
سياسية خاصة شمارها القومية المفرقة في كل شيء ، ووسيلتها  
القوة والتفوق المادى قبل كل شيء ؛ وكانت سياسته قبل الحرب  
وفي خلالها ، ثم من بعدها ، تمثل دائماً روح العسكرية المحافظة ،  
وروح الاستعمار الجشع ، فكان بوانكاريه من أعظم بناءة العسكرية  
الفرنسية ، وكان من أعظم بناءة الاسبراطورية الفرنسية الاستعمارية .  
وكان مولده في « بارلد يك » من أعمال اللورين في اغسطس  
سنة ١٨٦٠ ، ودرس الحقوق في باريس ؛ وبدأ حياته العملية في  
الصحافة ، فتولى حيناً تحرير القسم القضائى لجريدة « لى فورتير »  
ثم عين موظفاً في وزارة الزراعة ، ولكن جو الوظائف الحكومية  
لم يرقه ، فاستقال لتحو عام من تمييزه ؛ وكانت أحداث السياسة  
تهزه وتستغرق اهتمامه ، فحاض المركة الانتخابية ودخل البرلمان  
لأول مرة في سنة ١٨٨٧ نائباً عن مقاطعة الموز . ومن ذلك الحين  
بدأ نجمه السياسى في التالى ؛ وامتنع الحمالة في باريس ، فظهر

فيها بمقدرته وساحر بيا . ؛ وجدد انتخابه لمجلس النواب  
سنة ٨٩ ، ثم في سنة ٩٣ . وفي هذا العام دخل الوزارة وزيراً  
للمعارف وهو في الثالثة والثلاثين من عمره ، ثم تولى وزارة المالية  
في العام التالى ، ثم المعارف مرة أخرى سنة ٩٥ . واستمر في  
مجلس النواب حتى سنة ١٩٠٣ ، ثم دخل مجلس الشيوخ . وتبوأ  
بوانكاريه مركزه في الزعامة السياسية ؛ كما تبوأ مركزه في الزعامة  
الأدبية ؛ وكان الى جانب مقدرته السياسية كاتباً ممتازاً ؛ بلغت  
الأنظار بروعة كتاباته السياسية والأدبية . وفي سنة ١٩٠٦ تولى  
وزارة المالية مرة أخرى . وفي سنة ١٩٠٩ توجت زعامته الأدبية  
بانتخابه عضواً في الأكاديمية الفرنسية . وفي يناير سنة ١٩١٢  
ألف بوانكاريه وزارته الأولى خلفاً لوزارة كايو المستقيلة ، وتولى  
الى جانب الرئاسة وزارة الخارجية . وهنا بدرت بوادر الأزمات  
الدولية التي مهدت الى الحرب الكبرى ، فأبدى بوانكاريه خلال  
هذه العواصف قوة ومقدرة ، وظهرت قوة وسائله بالأخص في  
مسألة مراكش حيث استطاع أن يرغم السلطان على الاعتراف  
بالحماية الفرنسية ، وظهرت ميول بوانكاريه العسكرية واضحة في  
عنايته بمسألة التسلحات ، ومضاعفة قوى فرنسا البحرية . وفي  
سنة ١٩١٣ انتخب بوانكاريه رئيساً للجمهور الفرنسية خلفاً  
للرئيس فالير ؛ واستدعى أرستيد بريان لرياسة الوزارة . وكانت  
أوروبا تسير يومئذ الى الأزمة الكبرى بخطى سريعة ؛ وكانت  
بوانكاريه يسهر على ثمار سياسته ، وعلى المحادثات التي انتهت  
اليها . وفي يولييه سنة ١٩١٤ كان بوانكاريه الى جانب نيقولا  
الثانى قيصر روسيا في بطرسبرج ؛ وكانت بواعث هذه الزيارة  
ظاهرة واضحة ، وهي تمكين التحالف الروسى الفرنسى ضد ألمانيا  
والنمسا والمجر ، وتنظيم الخطط للعركة القادمة

ولما عاد بوانكاريه الى فرنسا كانت الأزمة قد وصلت ذروتها  
ولاح شبح الحرب جلياً في الأفق . وكتب بوانكاريه بهذه المناسبة  
الى جورج الخامس ملك إنجلترا خطاباً اشتهر بقوة منطقته وبيانه .  
ثم كانت الحرب ؛ فكان بوانكاريه رجل الموقف ؛ وأبدى خلال  
هذه الأعوام العصيبة كثيراً من الحزم والقوة والبراعة في تدير  
شؤون الحرب ومعالجة المشكلات الخطيرة التي كانت تثيرها ،  
واستطاع أن يقف البرلمان عند حده وأن يحمى الجيش من نفوذه ،

هذا الاجراء من أشنع الأخطاء التي ارتكبتها السياسة الفرنسية؛ ولم يقف إلى جانب فرنسا فيه سوى بلجيكا؛ وانتهى إلى عكس المقصود منه إذ أثار في ألمانيا روثخ السخط والمقاومة، وفقدت فرنسا من جرائه كثيراً من العطف، وظهرت فيه بمظهر التحامل والتحرش؛ وقد بوانكاريه أيضاً كثيراً من ثقة مواطنيه وتقديرهم؛ وظهر ذلك جلياً في انتخابات سنة ١٩٢٤ حيث فاز فيها خصومه ومعارضوه واضطر إلى الاستقالة؛ وتناوبت من بعده عدة وزارات ضئيفة كانت تسحقها الأزمة المالية وأزمة الفرنك بنوع خاص. ولما تقام خطب الفرنك وكادت فرنسا تنكب بكارثة مالية شنيعة دعى الرجل القوي (بوانكاريه) إلى الحكم مرة أخرى في يولييه سنة ١٩٢٦، فلبى الدعوة؛ واستطاعت وزارته بما اتخذت من التدابير السريعة القوية أن تجنب الكارثة وأن ترد إلى الفرنك ثباته، واستمر بوانكاريه في الرئاسة إلى سنة ١٩٢٩، ثم استقال لأسباب صحية، وتفرغ إلى كتابة مذكراته التي بدأ بإخراجها قبل ذلك بأعوام تحت عنوان «في خدمة فرنسا» Au Service de France، وفيها يبسط مراحل حياته السياسية، وما اضطلع به من الأزمات السياسية قبل الحرب وفي أثناءها، وما بذله من جهود لا حراز النصر. وكان بوانكاريه أثناء اعتزاله الحكم يكتب في الصحف فصلاً سياسية قوية، واشتهرت منها بالأخص سلسلة مقالات يكتبها تحت عنوان «الوعاء المتكسر»، وفيها يندد دائماً بسياسة الضعف نحو ألمانيا؛ وكما أن بوانكاريه كان يعرب في سياسته عن عميق تعصبه القومي، فكذلك تطبع كتاباته مثل هذه النزعة القومية العميقة، وهو ينحو في ذلك نحو مواطنه الكاتب اللوريني الأشهر موريس باريس الذي اشتهر بمنف حملته على ألمانيا، وتحميحه على سحق المنصر الألماني؛ ولبوانكاريه آثار أدبية وتاريخية أخرى، وله في الحماة مواقف مشهورة، وقد وصل أثناء العمل بها إلى أرفع ما يطمح إليه محام، وانتخب نقيباً للمحامين، ورفع بذلك إلى صف أعلام الفصاحة القضائية، كما رفع من قبل إلى ذروة المجد السياسي.

وقد لبثت السياسة الفرنسية مشربة بروح الأثرة والقومية

وأن يرد حملته عن الحكومة، وأن يقضى على التنافس الحزبي وآثاره السيئة في سير الأمور. ولم يحجم في سنة ١٩١٧ عن استدعاء خصمه القديم جورج كليمنصو إلى تولي الحكم، فكان موفقاً في اختياره، وكانت وزارة كليمنصو وزارة النصر النهائي وهنا نقطة خطيرة يجب أن نشير إليها تلك هي موقف بوانكاريه الحقيقي إزاء الحرب الكبرى ومبلغ مسؤوليته في العمل لأنارتها. وقد أنارت مسؤولية الحرب منذ عقد الصلح كثيراً من البحث والجدل، وأتى عليها كثير من الضوء سواء من الوثائق الرسمية المختلفة التي نشرت، أو تصريحات أقطاب السياسة الأوزية الذين انصلوا بمقدماتها. وقد ظهر منها جميعاً أن رايمون بوانكاريه يحمل في إثارة الحرب الكبرى أكبر التبعات وأنه كان من العاملين لها قبل نشوبها بأعوام؛ وظهر بالأخص من الوثائق السياسية التي نشرها ميسيو أرفولسكي سفير روسيا في باريس قبيل الحرب، أن بوانكاريه كان نائب العمل بالتفاهم مع القيصر على تنظيم الخطط لأذكاء الأزمة، وأن زيارته للقيصر في يولييه سنة ١٩١٤ لم تكن إلا لأحكام خطط العمل والدفاع في الحرب المنشودة. وهذه نقطة خطيرة تثقل كاهل بوانكاريه بلا ريب، ولم يوفق هو قط إلى دحضها رغم كل ما قال وكل ما كتب. وانتهت رئاسة بوانكاريه للجمهورية في سنة ١٩٢٠، وخلفه ميسيو دي شانل الذي لم تطل رئاسته سوى أشهر؛ وعاد إلى مجلس الشيوخ، وإلى العمل في الحماة والصحافة، وفي يناير سنة ١٩٢٢، ألف بوانكاريه وزارته الثانية، وتولى وزارة الخارجية، وكان الجدل يشتد يومئذ بين فرنسا وألمانيا حول تنفيذ شروط معاهدة الصلح وأداء التعويضات المفروضة على ألمانيا؛ وكان بوانكاريه يرى منذ البداية أن تذل ألمانيا، وتسحق حتى النهاية، وكان من أشد خصوم الهدنة ووقف الحرب، وكان يرى مع فوش أنه يجب مطاردة الجيش الألماني حتى عاصمة بلاده، وجعل الرين حداً لألمانيا؛ فلما بدأت ألمانيا في التذمر من شروط الصلح، ومن أداء التعويضات، رأى بوانكاريه الفرصة سانحة للعمل، فقرر احتلال الروهر في أوائل سنة ١٩٢٣ تنفيذاً للمقوبات التي نصت عليها المعاهدة في حالة التخلف عن التنفيذ، وكان

(سنة ١٩٢٤). وعنى بارتو بدرس حركة النقابات وأصدر عنها كتاباً جامعاً بعنوان العمل النقابي L' action Syndical وظهر في عالم الأدب ظهوراً قوياً ، واشتهر بروعة أسلوبه التحليلي ؛ وكتب تراجم نقدية بديعة ليرابو خطيب الثورة الفرنسية ولامارين وغيرهما وهي من أقيم كتب الترجمة الفرنسية ، وكتب كتاباً عن غرام فكتور هوجو Les amours d'un Poète وهو من أرق ما كتب عن هذا الشاعر ؛ وكتب رسالة عن قباجز ؛ وكتب غير ذلك من الكتب والرسائل مما يضيئ المقام بذكره ؛ وانتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية منذ سنة ١٩٢٤ ؛ وكان محاضراً ومعدتاً ساحراً ، اشتهر بغير ثقافته وقوة عارضته وتدقق بيانه .

ولما نشبت الحرب الكبرى دفع بارتو بابنه الوحيد إلى الصفوف المدافعة عن الوطن ، فقتل في المارك الأولى ، وأصاب فؤاد الوالد الكبير جرح لم يندمل قط .

وغادر بارتو مجلس النواب إلى مجلس الشيوخ في سنة ١٩٢٢ واستمر يخوض المعركة السياسية ؛ ولكنه كان من فريق الساسة الهادئين الذين لا يظهرون كثيراً على مسرح المارك الصاخبة . ثم تولى وزارة الخارجية منذ فبراير الماضي ، وكانت منذ سنة ١٩٢٧ وفقاً على ارستيد بريان حتى توفي سنة ١٩٣٢ ؛ وتولاها من بعده يول بونكور . وكانت وفاة بريان نذيراً بتطور سياسة فرنسا الخارجية ، وعودها إلى الخضوع لروح الآلة والوطنية المفرقة ؛ فلما تولاها بارتو كانت نظريات فوش وبوانكاريه قد غلبت في توجيهها مرة أخرى ؛ وبارتو من أبناء هذه المدرسة كما قدمنا . وجاء عنف الحركة الهتلرية في ألمانيا نذيراً جديداً لفرنسا بوجوب التحوط ومضاعفة الأهباء والمخالفات العسكرية . وقد أبدى بارتو في تنفيذ هذه السياسة نشاطاً وبراعة فائقين فطاف بالبلاد المحالفة لفرنسا مثل بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا ووجوسلافيا ليحكم أواصر التحالف بينها وبين فرنسا ، ولكي تحاط ألمانيا بسياسات قوى من الأمم الخصيمة التي تقف وقت نشوب الحرب إلى جانب فرنسا . بيد أن أعظم ظفر استطاع بارتو أن يتوج به سياسته هو تقوية التفاهم الفرنسي الروسي واستئناف سياسة التحالف القديم بين روسيا

العميقة ، الذي عمل لاذكائه رجال مثل فوش وبوانكاريه وكليمنصو ؛ ثم تطورت منذ سنة ١٩٢٦ ، أي منذ اشتد ساعد الاشتراكيين والاشتراكيين الراديكاليين ، وقويت الدعوة إلى السلام والتضامن الدولي ، وتولى ارستيد بريان توجيه السياسة الخارجية الفرنسية ، ولاح مدى حين أن التفاهم ممكن بين أعداء الأمم ، وأن سلام العالم يمكن تحقيقه بالمواثيق والمعاهدات الصريحة ، ولكن بريان توفي بعد أن ازور نجمه ؛ ثم قامت الاشتراكية الوطنية في ألمانيا ، وعادت موجة التطرف الهتلري توجه النذير إلى فرنسا ؛ فعادت فرنسا إلى سياستها القومية المتطرفة ، وظهر بوانكاريه لمواطنيه مرة أخرى بأنه في دعوة إلى هذه السياسة ، أبعد نظراً من الوجهة العملية ، من أولئك الذين ينشدون السلام بالتفاهم والحسني .

\*\*\*

وقد كان لوى بارتو من تلاميذ هذه المدرسة السياسية المفرقة في القومية ، وكان مثل صديقه وزميله بوانكاريه يؤمن بسياسة القوة والتحالف العسكري . وكان مولده في بيارن من أعمال فرنسا الجنوبية سنة ١٨٦٢ ، ودرس الحقوق أيضاً ثم انتظم في سلك المحاماة ، تلك المهنة الخلابية التي يتخرج فيها معظم الساسة الفرنسيين . ودخل بارتو مجلس النواب لأول مرة في سنة ١٨٨٩ ، ولم يلبث أن ظهر بقوة منطقته وبيانه . ودخل الوزارة لأول مرة سنة ١٨٩٤ ، إلى جانب بوانكاريه وهو يومئذ في الثانية والثلاثين من عمره . وكانت يومئذ بدعة أن يتولى الوزارة فتیان أحداث مثل بارتو وبوانكاريه . ولكن النبوغ المتفتح كان يسود كل اعتبار آخر ؛ واستمر بارتو بين النيابة والمحاماة ، مدى حين . وتولى الوزارة بعد ذلك مراراً ، في وزارة الأشغال والداخلية . ثم تولى وزارة الحفانية منذ سنة ١٩٠٩ في وزارة بريان ، واستمر في هذا المنصب أربعة أعوام . وفي سنة ١٩١٣ استدعى بارتو لرئاسة الوزارة ، فاستمر مضطهماً بأعبائها إلى ما قبل الحرب الكبرى ؛ واستطاع في هذه الفترة أن يحمل البرلمان على إصدار قانون الخدمة العسكرية الجديد الذي يجدها إلى ثلاثة أعوام ؛ ثم تولى وزارة الأشغال مرة أخرى في سنة ١٩١٧ ، ثم وزارة الحفانية في وزارة بوانكاريه الثانية

في العيز الالفي لولر الفرورسي

## الشاهنامه

للدكتور عبد الوهاب عزام

ترجمة الكلمة التي ألهاها الأستاذ عزام بالفارسية على قبر الشاعر في طوس

لست أريد أن أفصل الكلام في الشاهنامه أو بعض مباحثها الكثيرة . فأدباه إيران الكرام أعرف بذلك وأقدر عليه ، ولكني أريد أن أقدم اليكم بكلمة موجزة تبين عن مكانة الشاهنامه في آداب الأمم ولا سيما الأمم الشرقية :

قال بعض المؤلفين إن الشاهنامه إلياذة الشرق . وذلك التشبيه غير صحيح من بعض الوجوه ، فإن الشاهنامه جذيرة أن يكون لها بين أم الشرق مكانة أرفع من مكانة الإلياذة بين أم القرب . ذلكم بأن الإلياذة قصة حروب وقعت في معترك ضيق من آسيا الصغرى بين اليونان والطوراديين . وهي زهاء ثمانية آلاف بيت ، تستمر حوادثها ستة وخمسين يوماً . والشاهنامه تقص أحداثات ميدانها ما بين الهند والصين إلى البحر الأبيض المتوسط ، وتشمل كل ما وعت الروايات من تاريخ الأمة الإيرانية وأساطيرها من أقدم عصورها إلى العهد الإسلامي ، ويشترك في وقائعها التورانيون والمرب والروم والهند ، ولا تحرم الصين من نصيب فيها . فكل أم آسيا العظيمة وبعض أم أوروبا يتناولها موضوع هذا الكتاب العظيم . فقد أوجى الكتاب من التاريخ والأساطير ما هو جدير بمناية المؤرخ الناقد ، مؤرخ السياسة أو مؤرخ الأدب والاجتماع وصفت الشاهنامه نشوء الحضارة الإيرانية وتطورها ، وقصت تاريخ الإيرانيين ملوكهم وأبطالهم وكبرائهم في القرون المتطاولة ، وأبانت عما كان بينهم وبين الأمم المجاورة من عداة ومودة ، وحرب وسلم . وصفت الجلائد الهائل المستمر بين إيران وتوران ، ثم مثلت ما كان بين الأمتين من جوار ومودة في القرابة بين ملوك إيران وتوران ، إذ جعلهم جميعاً بنى أفريدون ، ثم وصلت هذه القرابة بمصاهرات عديدة : كتزوج سیاوخسن بن كياكوس جريرة بنت پيران أعظم قواد التورانيين ، ثم فرنكيس بنت أفراسياب أعظم ملوك توران ، ومن سیاوخسن وفرنكيس ولد كيخسرو حفيد كياكوس وسبط أفراسياب . وكذلك نجد في العمود التاريخية تزوج أنوشروان بنت الخاقان

وفرنسا ، وإدخال روسيا في حظيرة عصبة الأمم وحظيرة الدول الغربية بعد أن لبنت بيعة عنها زهاء ستة عشر عاماً . وكانت هذه أول مرحلة في سياسة فرنسا الجديدة لتحقيق عزلة الماسيا عن باقي الدول الأوروبية ؛ وكانت المرحلة الثانية ، هي توثيق أواصر التحالف بين يوجوسلافيا وفرنسا ، ثم حمل يوجوسلافيا على التقرب من إيطاليا ، وأخيراً تحقيق التفاهم بين فرنسا وإيطاليا وتسوية المسائل الملقة بينهما وحملها بذلك على نبذ سياسة التفاهم مع المانيا الهتلرية بصورة نهائية . وكانت زيارة الملك اسكندر ملك يوجوسلافيا تحقيقاً لهذا البرنامج . ولكن وقعت فاجعة مرسيليا التي ذهب ضحيتها الملك اسكندر ومسيو بارتو ؛ ولقيت السياسة الفرنسية بذلك صدمة قوية . يد أنها صدمة مؤقتة ، والظاهر أن فرنسا ستمضي في تنفيذ برنامجها السياسي ، وأن مسيو لاقال وزير الخارجية الجديد ، سيستأنف العمل حيث وقف مسيو بارتو ؛ وسيقوم مكانه بزيارة رومه ، كما كان مقرراً من قبل . ولكن الموقف ما يزال غامضاً ، ولا سيما إزاء ما يخشى وقوعه في يوجوسلافيا عقب وفاة الملك اسكندر من الحوادث والتطورات الخطيرة

\*\*\*

تلك سيرة الرجلين اللذين فقدتهما فرنسا في أسبوع واحد ، وقد فقدت فرنسا في الأعوام الثلاثة الأخيرة جل أقطاب زعمائها القديما ، مثل كليمنصو وفوش ودومير وريان وبوانكاريه وبارتو ؛ وطويت بذهابهم مرحلة أو مراحل من تاريخ فرنسا المعاصر ، ولم يبق من أقطاب ساسة الجيل المنصرم سوى القلائل ، مثل تارديو الذي يمثل الكتلة القومية ، وهريو الذي يمثل السياسة الأشرافية . ولا ريب أن فرنسا ستشعر بفداحة هذه الخسارة خصوصاً في هذه الآونة العصيبة التي تقضي كثيراً من العمل السياسي المستتير . يد أن للسياسة الفرنسية تقاليد راسخة ، وسوف يبرز إلى الميدان السياسي رهط من الساسة والزعماء الجدد ليملاؤوا ذلك الفراغ ، وليقودوا الجمهورية الثالثة إلى نفس المثل والغايات التي عمل لها ساسة الجيل الراحل

محمد عبد الله عثمان  
الحامى